

## ارتريا بعيون سودانية



### بقلم: محمد المعتصم حاكم

شارك الاستاذ محمد المعتصم الشعب الارتري احتفالاته باليوبيل الفضي للاستقلال ضمن وفد سوداني شعبي، وبعد عودته كتب سلسلة مقالات في موقع " النيلين " بعنوان " أريتريا التصدي والتنمية " نعيد نشرها كاملة لكي يطلع عليها أكبر عدد من القراء.

بدعوة من اللجنة الوطنية للاحتفالات بدولة (اريتريا) الشقيقة، كان الوفد الشعبي السوداني حُضوراً مُميّزاً ومُشاركات فنية أضفت على الاحتفال باليوبيل الفضي للاستقلال نوراً وتمازجاً ثقافياً يحكي عن عَظمة التلاحم والنضال المُشترك بين الشعبين الشقيقين في اريتريا والسودان والذي تجسد في تلك القبائل الحدودية التي تعيش في تواصل مُستمر في الدولتين الشقيقتين عبر نظارة واحدة نجد الاحترام والتقدير هنا وهناك، وفوق كل ذلك ظلت الطائفة الختمية قاسماً مشتركاً بكثافة مميزة في كل اريتريا وشيخا واحدا للجميع في السودان واريتريا هو مولانا السيد محمد عثمان الميرغني، بجانب تلك الصلة النضالية الطويلة التي تحقق عبر استقلال الشعب الاريتري في كفاح متصل حمل فيه الشعب السوداني السلاح جنبا الى جنب مع شقيقه الاريتري حتى تحقق النصر في الرابع والعشرين من مايو عام 1991م، كما كانت كل الأراضي السودانية مفتوحة لأشقائنا في اريتريا طيلة سنوات الكفاح المُسلح، ثم أصبحت وطناً ثانياً لهم يعيشون بيننا مُعززين مُكرّمين بكل الحب

والتقدير لأننا في نهاية المطاف شعب واحد تجمعنا صلات الدم والتاريخ والكثير من العادات والتقاليد والتداخل الإثني والقبلي، حيث لا يُمكن أن تميّز ما بين المواطن الأريتري في كسلا أو السوداني في تسني أو كرن، فالشعب واحدٌ هنا وهناك مما يجعلني أقول بأن أريتريا هي امتدادٌ للسودان وكذلك السودان هو امتدادٌ لأريتريا، حيث لن تجد التّمازج الشعبي ما بيننا وكل دول الجوار السوداني باستثناء جنوب مصر وشمال السودان وفي فجر السبت قبل الماضي وصلنا الى مطار (أسمر ا) الدولي، حيث حفاوة الاستقبال وكرم الضيافة والدقة في التنظيم عبر برنامج مطبوع للزيارة لمدة أسبوع شمل كل مظاهر احتفالات الشعب الاريتري الشقيق باليوبيل الفضي للاستقلال، حيث الاحتفالات الشعبية في الأحياء ومشاهدة العروض الفنية ليلاً في شارع الحرية وزيارة المتحف الاريتري الذي يحكي قصة شعب فريد ونادر استطاع أن يصنع المعجزات حتى تحقق الاستقلال، وكذلك شاهدنا معارض الجاليات الاريترية في دول المهجر التي ارتبطت بوطنها واستطاعت أن تثبت وجودها في كل بلدان العالم دون تفريط في حب الوطن الأم (اريتريا)، ولقد كان ضمن الوفد الشعبي السوداني الفنان (كمال ترباس) والصديق الفنان وعضو المجلس الوطني عبد القادر سالم والرائع المُبدع (سيدي دوشكا) والفنانة الواعدة المُميّزة (فهيمة) وكانت مُشاركتهم في كل يوم فخراً لنا أسعدت كل الشعب الاريتري، ثم كانت الروعة في ذلك النشيد الاريتري في يوم الاحتفال الرسمي الذي شرّفه الرئيس (اسياس افورقي) وتجاوب الحضور مع الفن السوداني بقوة وحب، وعموماً كان عرض الافتتاح مُدهشاً يحكي عن عظمة ذلك الشعب الشقيق تحت شعار(ربع قرن من التصدي والتنمية)، كما كان وفد السودان الشعبي رائعاً في التواجد والمشاركات ويظل الشقيقان الاريتريان (ادريس وعلي) هما فاكهة الزيارة التي ظلت ملازمة لنا كمنسقين للبرنامج بصبر ودون كلل أو ملل ويرجع كل الفضل في ذلك الإنجاز للشقيق الاريتري السفير إبراهيم إدريس.

يعجز قلبي عن وصف الاحتفال الرسمي في ذكرى اليوبيل الفضي لاستقلال دولة ارتريا الشقيقة بدءاً من العرض العسكري وتلك الطائرات المحلقة في الجو واللوحات الخلفية المزدانة بجميع ألوان النور التي يحركها آلاف الأطفال عبر أشكال تحكي عن قصة، وتترجمها تلك الصورة الخلابيّة؛ وكان وفدنا السوداني مميزاً وأكبر وفد شعبي مشارك، في تلك الاحتفالات، وكان على رأسه عميد الدبلوماسية الشعبية الصديق الباشمهندس (عبدالمنعم السني) الأمين العام لمجلس

الصداقة الشعبية العالمية؛ وكذلك عدد من نظار القبائل الحدودية السودانية؛ بجانب تلك الكوكبة من أصدقاء ارتريا من كل ربوع السودان؛ حيث كانت فرصة رائعة أن التقى بذلك الكم من النشطاء المحبين لأرتريا؛ ولوطنهم السودان؛ بجانب الأعداء من طاقم سفارتنا بأسمرا، وعلى رأسهم السفير المحبوب النشيط (ماجد يوسف) الذي لبينا دعوته للغداء في منزله كما أن المشاركات الرمزية عبر وفود صغيرة كانت حضوراً من معظم دول العالم؛ بجانب ممثلي السلك الدبلوماسي في دول ارتريا قبل بداية الاحتفالات التي جرت في ميدان (الفتاح من سبتمبر) كانت كلمة رئيس الدولة الرئيس المحبوب لدى كل شعبه (اسياس افورقي) وبما أن الاحتفالات كانت هذا العام تحت شعار (التصدي والتنمية) كان حديث الرئيس عن التطور الذي حدث في ارتريا منذ الاستقلال في كافة مناحي الحياة الصحية والتعليمية والزراعية والصناعية، كما أكد الرئيس على استقلال القرار الإرتري الحر في دفع وطنه الى الأمام دون ضغوط او إملاءات من الغرب وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية التي تسعى باستمرار للتدخل في الشؤون الداخلية للدول، وأكد الرئيس على تحمل كل الصعاب من أجل بناء الدولة الإرترية الحديثة؛ وبأيادي وعرق الإرتريين الشرفاء الراضين لكل أشكال الاستعمار الاقتصادي الجديد، وبعد خطاب الرئيس بدأ العرض والكرنفال الذي يحكي عن التصدي بكل أشكال التخلص والتصدي كمستعمر حتى تحقق الاستقلال؛ لتبدأ مرحلة البناء والتعمير؛ والتي تجسدت في قصص صاغها المبدعون الإرتريون عبر تلك اللوحات الخلاقة التي تحكي عن التعليم الجامعي وتخريج أفواج من ابناء وبنات ارتريا في مختلف التخصصات؛ بجانب لوحات أخرى يحكي عن الزراعة والصناعة والمستشفيات الحديثة وتعليم الأطفال ومحو الأمية في كل القرى النائية وفي تلك الأمسية الرائعة برزت المشاركة السودانية عبر نشيد يحكي عن العلاقات الأزلية التي تجمع الشعبين الشقيقين والحب الذي يكنه الشعب السوداني لشقيقه الشعب الإرتري، ولا أرى بعد الذي شهدته من محبة للإرتريين لأشقائهم في السودان غير التفكير الجاد في مسألة قانون الحريات الأربع فهم أولى من غيرهم وأحق والذي يجمعنا بالشعب الإرتري الشقيق أكثر بكثير من الذي يفرقنا، فالتحية والحب لهم في ذكرى اليوبيل الفضي للاستقلال.

كان برنامج الوفد الشعبي السوداني لدولة أرتريا الشقيقة حافلاً اشتمل على العديد من الأنشطة والزيارات الميدانية للعديد من المعالم المهمة والمعارض، كان أهمها (مقبرة الشهداء) وذلك المجسم الصخري الذي حوى أسماء شهداء الثورة الأرترية

الأوائل على خارطة شملت كل القرى والمدن التي قاتل فيها المناضلون من أجل التحرير، ولم يكن غريباً أن يكون من بين الشهداء عدد من السودانيين الذين قاتلوا جنباً إلى جنب مع أشقائهم الأرتريين، حيث كتبت اسماؤهم تسبقها كلمة (السودان) تقديراً لوفائهم والدفاع عن الأرض الأرترية بدمائهم التي امتزجت بدماء أشقائهم في أرتريا حتى تحقق الاستقلال لتصبح تلك القبور المزدانة بالورود والرياحين تجسداً واقعياً لتلك العلاقات الأزلية المميزة التي ظلت وما زالت تجمع ما بين الشعبين الشقيقين في لوحة رائعة مطرزة بالمصير الواحد والمستقبل الواعد عبر ذلك التمازج الإثني والقبلي والثقافي الذي جعل القبيلة الواحدة نصفها في أرتريا والنصف الآخر في شرق السودان عبر نظارة واحدة يدين بالولاء لها الجميع، كما لفت نظري ذلك المعرض الذي يحكي عن نشاط الجالية الأرترية في أفريقيا والدول العربية وأمريكا وأستراليا وأوروبا، حيث تلعب الجاليات هناك دوراً رائداً وإيجابياً في دعم دولتهم أرتريا الأم في كافة المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وتوطيد العلاقات الإنسانية مع كل دول المهجر بما يساعد بلدهم في النهوض نحو الأمام لبناء أرتريا الحديثة التي يسعى قادتها نحو التنمية المستدامة وإعادة إعمار ما دمرته تلك الحروب الطويلة، وكان السودان حاضراً في ذلك المعرض، حيث برزت كل نشاطات الجالية الأرترية بقيادة السفير الشقيق إبراهيم إدريس في خلق صلات عبر نشاطات ثقافية مشتركة مع كل شرائح الشعب السوداني بصورة مستمرة تأكيداً على التلاحم والتمازج والتواصل الطبيعي والارتباط الأزلي الذي يجمع الشعبين الشقيقين.

كما أن احتفالات أرتريا باليوبيل الفضي للاستقلال لم تكن في العاصمة (أسمرأ) وحدها، بل كان هناك احتفال في كل مدينة وقرية في الدولة الأرترية تحت شعار (الصمود والتنمية) كما كان هناك يوم للاحتفال في الأحياء حيث زرنا عدداً منها في مدينة (أسمرأ) واستقبلونا أهل الحي بالورود والأغاني السودانية التي يعشقونها، بل تجاوز الكرم الأرتري الأصيل وجبة الغداء الشعبية إلى وداعنا بالأغاني والأناشيد الوطنية الشجيرة، وكان الأروع معرض سنوات الكفاح المسلح والتطور الذي شهدته الدولة الفتية حتى أصبحت في سنوات قليلة كاملة البنيات التحتية من كهرباء ومياه

نقية ومدارس ومصانع وجامعات ونظافة في الشوارع لا تقل عن أي دولة أوروبية، وكانت لنا لقاءات في الإذاعة والتلفزيون عبّر فيها كل أعضاء الوفد الشعبي السوداني عن امتنانهم وحبهم لأشقائهم في أرتريا.

تستغرق الرحلة من الخرطوم بالطائرة الى العاصمة الأريترية (اسمرا) ساعة واحدة وعشر دقائق قد لا تحتاج فيها الى (فك) حزام الأمان في الطائرة إلا بعد الوصول لقصر المسافة، ولقد كنت متشوقاً لزيارة اريتريا والتي فارقتها عام 2002م بعد ان ظللنا على ارتباط وثيق بها لمدة ثماني سنوات بدأت عام 1994م ثم مؤتمر القضايا المصيرية للتجمع الوطني الديمقراطي في يونيو عام 1995م وتواصلنا بعد ذلك مع الأشقاء هناك إلى أن تحقق السلام والمصالحة الوطنية ما بين المعارضة والحكومة السودانية عبر اتفاق القاهرة الذي وقّعه رئيس التجمع الوطني الديمقراطي مولانا السيد محمد عثمان الميرغني في عام 2005م وكذلك اتفاقية نيفاشا التي أعادت الاستقرار ما بين الشمال والجنوب في بلادنا والتي وقّعها الراحل المقيم الدكتور جون قرنق مع النائب الأول لرئيس الجمهورية في ذلك الوقت الأستاذ علي عثمان محمد طه، كنت متشوقاً لزيارة اسمرا بعد ذلك الغياب الطويل وذكريات اجتماعات هيئة قيادة التجمع الوطني واللقاءات الحوارات والمستمرة مع الإخوة الأعزاء في الجبهة الشعبية للديمقراطية والعدالة وعلى رأسهم الشقيق العزيز الأمين محمد سعيد الأمين العام للتنظيم الحاكم، كما كان الهدوء وذلك الجو الطبيعي المعتدل الذي وهبه الله سبحانه وتعالى لذلك الشعب الشقيق يجعلك دائماً في قمة النشاط، وذكريات في اسمرا متعدّدة ورائعة كان أهمها لقائي الأول بالدكتور جون قرنق الذي جذبني بأفكاره ورؤاه حول بناء الدولة السودانية الديمقراطية الحديثة والتي تستند على مبدأ المواطنة دون أدنى تفرقة عرقية أو دينية بين أهل الوطن الواحد، كما كان يتحدث عن إدارة التنوع الثقافي كإيجابية تدعم الوحدة وتميزنا عن كافة دول العالم عبر توظيف دقيق لتلك التدخلات الإثنية والثقافية بالصورة التي تحقق التمازج بين القبائل، حيث كان يقول دائماً عن الهوية (ان أهل السودان قد يتلفون حول العروبة والأفرقة ولكنهم يتفقون بأنهم سودانيون وبالتالي يجب أن نرجح كفة السودانية كهوية متفردة لكل الشعب السوداني).

ولن أنسى في تلك السنوات رفقائي من القوى السياسية الأخرى، حيث كنت مسئولاً عن صياغة كل قرارات وبيانات التجمع الوطني الديمقراطي يعاونني في ذلك السفير نجيب الخير عن حزب الامة والصدیق ياسر عرمان عن الحركة الشعبية لتحرير السودان، والطريف في الامر كنت أعد مسودة البيان الختامي لهيئة قيادة التجمع قبل بدء الاجتماعات لفهمي وإدراكي بمخرجاتها وكان عمنا التجاني الطيب يسألني قبل الاجتماع (هل البيان الختامي جاهز) كانت ايام افضت في نهاية الامر الى حلول سلمية ومصالحة وطنية وعسى ولعل الحوار الوطني الشامل الذي يجري هذه الايام يكون خاتمة المطاف لمعالجة كل ازمت بلادنا العالقة.

زيارة الأشقاء في دولة أرتريا احتفالاً معهم باليوبيل الفضي للاستقلال جسدت عمق العلاقات الإنسانية والصلات الأزلية عبر تلك المشاركة المميزة التي جمعت كل ألوان الطيف الاجتماعي من الشعب السوداني وشخصيات لها علاقة وصلة قديمة بالشعب الارتري ، والذي اعطى وفدنا اهتماماً خاصاً دون الوفود المشاركة في تلك المناسبة الوطنية من دول أخرى، ولم نشعر بالغربة وكأننا لم نخرج من السودان بل في زيارة لجزء منه لطيبة أهل البلد وحبهم لبلادنا ، وذلك التمازج القبلي والثقافي الذي جمع الشعبين الشقيقين في شرق السودان ، وحتى اللغة العربية تقف جنباً إلى جنب مع اللغة المحلية في كل الأجهزة الإعلامية من صحافة وإذاعة وتلفزيون ، وكان خطاب الرئيس اسياسي افورقي في الاحتفال الرسمي مترجماً باللغة العربية باعتبارها اللغة الثانية المتداولة شعبياً ورسمياً ، وحتى لافتات المحلات التجارية تجدها في بعض الاحيان باللغة العربية وخلاصة القول ان الذي يجمعنا بالشعب الارتري الشقيق اكثر بكثير من الذي يفرقنا والقواسم المشتركة موجودة في كل شيء وأكد أجزم أنه الشعب الوحيد في دول الجوار الذي يشبهنا كثيراً في الطيبة والشجاعة والكرم الفياض ، وكما ذكرت سابقاً هم أولى بالتكامل وقانون الحريات الأربعة ، وهذا لا يعني التباطؤ في الحريات الأربع مع أشقائنا في دولة جنوب السودان بعد أن أصبح كل العالم الآن قائماً على شراكات اقتصادية وسياسية ، فمن المفيد أن تكون لنا شراكات وتكتلات تجمعنا مع كل دول الجوار بدون استثناء

كالاتحاد الاوربي والنمورالآسيوية واتحاد دول أمريكا الجنوبية وكذلك تجمع دول الخليج العربي وعموما سيظل مركز التكامل الاقتصادي في افريقيا بالسودان لموقعه الجغرافي وثرواته الواعدة وبالعودة مرة أخرى للأشقاء في أرتريا يجب البدء في تنظيم تجارة الحدود بالشكل الذي يعود على البلدين بكل الخير ، ومسألة معالجة بعض التفلتات المتعلقة بالتهريب يمكن معالجتها بتنظيم التجارة الحدودية بما ينفع البلدين الشقيقتين ،وبالتالي فإن إغلاق الحدود ليس من المصلحة وأتطلع الى فتحها وتقنين التجارة بصورة سلسة وإيجابية إلى أن تنتفض الوحدة التي أحلم بها وبالعودة الى الوفد الشعبي السوداني المشارك في الاحتفالات بدولة ارتريا الشقيقة فقد سعدت بنظار القبائل من كسلا واصدقاء الشعب الارترى من الخرطوم وبورتسودان وكانت لفته بارعة إنشاء حساب على الواتساب باسم (أشقاء السودان وارتريا) من اجل التواصل وتوطيد الصلات بعد أن أصبحنا نحمل فكرة واحدة لا تفرق ما بين الشعبين الشقيقتين في ارتريا والسودان وختاما لهذه السلسلة ،فالشكر كل الشكر للشعب الأرتري الشقيق على حسن الاستقبال والضيافة والترحاب الذي لم أجد له مثيلا.